

التأطير التداولي لِقَوْلِ سِيْبِيَوِيَه (فِي حَالِ)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

المديرية العامة للتربية في محافظة كربلاء المقدسة

mramad748@gmail.com

المستخلص:

ورقة بحثية تتخذ من كتاب سيبويه (ت: 180) ميدانا لها؛ لتقرأ التأطير التداولي لقوله (في حال) عندما يعرض مسائل الكتاب النحويّة على وفق رؤية تداولية قوامها بناء أركان الخطاب وتهيئة مجرياته، لنقف على الأثر الفاعل لمقولة (في حال/المقام) في توجيه البنى التركيبية بحسب فهم المخاطب، وقوة القناة التواصلية بينه وبين منتج الخطاب، فانتخب البحث أثر المقولة مقامياً، وأثرها في الكشف عن قصد المتكلم، وأثرها في ربط وشائج التواصل بين أطراف الخطاب، مؤرّعة- هذه الفقرات الإجرائية- على ثلاثة مباحث درسها البحث.

وقد سلك البحث طريق المنهج التحليلي في التعامل مع نصوص المتن موضع الدراسة، بوصفه المنهج الأنجع لتحقيق هدف البحث، وهو تقديم رؤية وافية لأثر مقولة (في حال) التي وظّفها سيبويه في كتابه؛ لبيان أثر المقام التخاطبي في توجيه التركيب، أو البنية الشكلية بصورة عامّة.

وقد قادنا لهذا التصوّر كثرة استعمال سيبويه لمقولة (في حال) التي تكررت في الكتاب (69) مرة في المسائل النحويّة فقط؛ ممّا شكّل واعزاً إجرائياً لافتاً لنظر قارئه، فعمدنا إلى تتبّعها في هذا البحث.

الكلمات المفتاحية: التأطير، تداولي، سيبويه، في حال.

التأطير التداولي لقول سيبويه (في حال)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

Abstract:

A research paper based on Sibawayh's book (d. 180) as its field; To read the deliberative framing of his saying (in case) when he presents the grammatical issues of the book according to a pragmatic vision based on building the pillars to stand on the effective impact of the saying 'of error and preparing its course (in case) in directing the structural structures according to the understanding of and the strength of the communicative channel between him and 'the addressee the producer of the speech . The research is the effect of the saying in a and its impact on ' and its impact on revealing the intent of the speaker'position 'linking the bonds of communication between the parties to the discourse distributed - these procedural paragraphs - on three topics studied by the research. The research took the path of the analytical method in dealing with the as it is the most effective method to achieve the 'texts of the text under study which is to provide an adequate vision of the impact of the 'goal of the research saying (in case) that Sibawayh employed in his book; To show the effect of the or the formal structure 'conversational denominator in directing the composition in general. We were led to this perception by Sibawayh's frequent use of the phrase (in case) which is repeated in the book (69) times in grammatical issues 'only. Which constituted a procedural reason that caught the reader's attention so we proceeded to follow it in this research.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين، أبي القاسم محمد، وآله

الطيبين الطاهرين وصحبه المخلصين.

أما بعد:

فيشتمل كتاب سيبويه على أبعاد مفاهيمية ومصطلحات تستوجب العودة إلى مفهوم البعد

التواصل الذي يؤدبه ذلك الفعل التعليمي داخل المنظومة المفاهيمية، وقد شغلت القصيدة

مساحة واسعة في اشتغال سيبويه، بوصفها أمرًا مخطّطًا له في ذهنه؛ إذ تمثّلت بوضوح في مراعاته للمقام التخاطبي (السياق)، والتواصل بين أطراف العملية الكلامية في بعدها التداولي، المتمثّل في التشخيص والمقام، فتفرّعت من ذلك أوجه تمظهر التوصيل (فعل الاتصال) عند سيبويه، لمساندة الأفكار التي أراد أن يوصلها من طريق رسالته.

إنّ إكثار سيبويه من استعمال مقولة (في حال) التي تكررت في الكتاب (69) مرة، يجعلنا نؤكّد أنّ اللغة عند سيبويه لغة تواصلية، يرتبط فيها طرفا التواصل (المتكلم والمخاطب) بعلاقة تحيل إلى تفاعل تواصلية بوصفه ماهية الحوار ومكوّنه الأساس، ومن هنا فقد أخضع سيبويه صنوف القول والتعبير الحوارية لما تقتضيه الأبعاد التركيبية والدلالية والتداولية.

وقد اجتهد البحث في انتخاب مسائل طرحها سيبويه في كتابه، منها مقولة (في حال) وراعى - البحث- في انتخابه هذا، المسائل الأكثر تكرارا ليختار من كلّ نوعٍ مثالا يكون شاهداً على الظاهرة كلّها، ودرج البحث في تقسيم مباحثه على وفق الأسس التداولية من (مقام) وكان مادة المبحث الأول، و(قصديّة) ليوضحها المبحث الثاني، و (التواصلية) التي كانت ختام البحث في مبحثه الثالث، ثم الخاتمة التي لخصت النتائج، وقائمة بروافد البحث، والحمد لله ربّ العالمين.

توطئة:

جرياً مع طقوس المنهج العلميّة أن نسير مع تموقع الكلمات في العنوان تأصيلاً؛ ليجري البحث على هدي من البيان.

أولاً- (التأطير)

- التأطير في المعجم من جذر (أطر) و: (الأطرُ: عَطْفُ الشَّيْءِ تَقْبِضُ عَلَى أَحَدِ طَرَفَيْهِ فَنَعْوَجُهُ؛ أَطْرَهُ يَأْطِرُهُ وَيَأْطِرُهُ أَطْرًا فَنَأْطِرُ وَأَطْرَهُ فَنَأْطِرُ: عَطْفَهُ فَنَعَطَفَ كَالْعُودِ تَرَاهُ مُسْتَدِيرًا إِذَا جَمَعْتَ بَيْنَ طَرَفَيْهِ... أَطْرْتُ الْقَوْسَ أَطْرُهَا أَطْرًا إِذَا حَنَيْتَهَا... وَكُلُّ مَا أَحَاطَ بِشَيْءٍ، فَهُوَ لَهُ أَطْرَةٌ وَإِطْرٌ)⁽¹⁾، إذ ننتهي بخلاصة لغوية للمصطلح تمثل الإحاطة بالشئ، أو الفكرة، أو الموضوع.

- المصطلحات المرادفة: تشتغل مع آلية (في حال) جملة من المصطلحات المرادفة له في الكتاب التي لا ينبغي للبحث تجاوزها؛ لما لها من أهمية في التحليل، وهي (رأيت ومشتقاته، الآن، تمثيل ولم يتكلم به، ينظر ومشتقاته، في حين، كان فيها، كأنه قيل)

(1) لسان العرب، مادة (أطر): 24-25.

التأطير التداولي لِقَوْلِ سِببَوِيهِ (فِي حَال)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

ثانيا- التداولية:

- **في اللغة:** من الجذر اللغوي (دَوَلَ)، وله معانٍ مختلفة لا تخرج عن معاني التحول والتبدل والانتقال: (تداولنا الأمر، أخذناهُ بالدُّول، وقالوا: دوايك، أي مداولة على الأمر ... ودالت الأيام أي دارت، والله يداولها بين الناس)⁽¹⁾.

- **في الاصطلاح:** يرجع أول استعمال لمصطلح (التداولية) إلى الفيلسوف والسيميائي تشارلز موريس Charles Mouris سنة 1938م، إذ قدّم لها تعريفاً في سياق تحديده للإطار العام لعلم العلامات Simiologie، وذلك في مقال له ركّز فيه على مختلف التخصصات التي تعالج اللغة (التركيب، والدلالة، والتداولية) ليصل إلى أنّ (التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامة ومستعملها)⁽²⁾، وهو تعريف يتّصف بالعمومية من جهتين، إحداها: جريانه على الأنساق اللسانية وغير اللسانية، والأخرى: شموله المجال الإنساني والحيواني والآلي⁽³⁾.

وقدّم الدكتور مسعود صحراوي تعريفاً يكشف فيه عن إجراء التداولية، بربطها بالعملية التواصلية، فهو يرى أنّ التداولية: ((هي إيجاد القوانين الكليّة للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصوير (التداولية) جديرة بأن تُسمّى: (علم الاستعمال اللغوي))⁽⁴⁾ يتلخص للبحث أنّ التأطير التداولي هو مفهومة الأفكار واحتوائها على وفق مقولات التداولية إحاطة تستوعب عيّنة البحث وتُظهر أثرها في كشف مجريات الاستعمال.

والاستعمال اللغوي مرادف لمصطلح (الكلام)، الذي نجد اشتغاله بقوة في أول مصنف لغوي فريد من نوعه درس اللغة في حيز الاستعمال وهو (الكتاب) لسببويه (ت: 180هـ) الذي جاء هذا البحث ليحني ثمرة من قطوفه الدانية، فمن النفائس التي اشتملها الكتاب تلك الركائز التعبيرية التي تمثل مفاتيح للولوج إلى مضامينه، وبِسمت بـ (آليات التفسير) في الكتاب وهي تشتغل على المستوى الدلالي والخطابي والتداولي، إذا ما أمسك بها القارئ اللبيب مكنته من فهم مادة الكتاب وقراءتها قراءة عصريّة تتفق ومقولات الحداثة من نصية وخطابية وتداولية، ومنها آلية (في حال) التي كان لها حضور متميز في ثنايا الكتاب ارتبطت مؤشراتنا بمنح تداولية،

(1) المصدر نفسه، مادة (دول): 1456/2.

(2) الأسس الإستمولوجية والتداولية: 262 هامش 1، وينظر: التداولية اليوم: 29، ومغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، صابر الحباشة: 32، وآفاق جديدة: 9.

(3) ينظر: الأسس الإستمولوجية والتداولية: 262 هامش 1.

(4) التداولية عند العلماء العرب: 16-17.

اجتهد البحث لبيانها على وفق مقولات تعد قوام المنهج التداولي، وهي: المقاميّة أو التسبيق،
والقصديّة

المبحث الأول: مقاميّة (في حال):

تعدُّ دراسة السياق محلَّ عناية المشتغلين في البحث التداولي على أساس ((أنَّ الدرس اللغوي التداولي يدرس المنجز اللغوي في إطار التواصل، وليس بمعزل عنه، لأنَّ اللغة لا تؤدي وظائفها إلا فيه، فليست وظائف مجردة، ونظرا لكون الكلام يحدث في سياقات اجتماعية، فمن المهم معرفة تأثير هذه السياقات على نظام الخطاب المنجز))⁽¹⁾ وقد بات من المسلم به أنَّ الخطاب لا يتشكّل ((إلا بين مُتكلِّم ومُخاطَب، ولا يكونُ إلا لدواع، ولا يكون إلا لمقاصد، ولا يكون إلا في إطار زمنيِّ ومكانيِّ وشروط تواصلية هي ما يُعبَّر عنها بعناصر السياق والمقام))⁽²⁾.

وقد أكّد سيرل أثر السياق عندما رأى أنَّه لا توجد وحدة لغوية يمكن فهمها خارج السياق، وهذه الفكرة جاءت في معرض كلامه عن أهمية السياق في فهم العلامة⁽³⁾، وعلى وفق هذا فدراسة معاني التركيب في ضوء التحليل التداولي يتطلَّب تحليلاً للمقام والمواقف التي تستعمل فيها؛ ذلك أنَّ معنى الملفوظ يتعدد تبعاً لتعدد السياقات التي يقع فيها⁽⁴⁾، ومن الموضوعات النحويّة التي دخلت ضمن إطار (في حال) عند سيويوه، نذكر الآتي:

أولا- الحذف:

جاء في مواضع من الكتاب تحت عنوان ((هذا باب ما يضم في الفعل المستعمل إظهاره في غير الأمر والنهي... ومثل ذلك أن ترى رجلاً يريد أن يوقع فعلاً، أو رأيته في حال رجلٍ قد أوقع فعلاً، أو أخبرت عنه بفعلٍ، فنقول: زيداً. تريد: اضربُ زيداً، أو أنضربُ زيداً))⁽⁵⁾ من الأهمية بمقام أن نشير إلى مسألة مهمة قيل الولوج في مجريات التحليل التداولي للكلام السابق، وهو أنَّ المقام بحديثاته في الكلام موضع البحث وغيره الذي يعمد سيويوه على صياغتها لغرض بيان الحكم النحوي في ضوءه، هو مقام مفتعل غير متحقق واقعا، ولذلك نرى سيويوه يشير إلى ذلك دائماً على ما صدره في النص المستحضر مثلاً بقوله: (ومن ذلك مثلاً أن ترى رجلاً...) والبحث يتعامل مع النص بما قدمه سيويوه، وبما أودعه من عناصر تحقق البنية

(1) استراتيجيات الخطاب: 23.

(2) الأفق التداولي: 1.

(3) ينظر: المقام في الشعر الجاهلي تناول تداولي، فريدة موساوي: 51.

(4) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: 72.

(5) الكتاب: 1 / 257.

التأطير التداولي لِقَوْلِ سِيْبَوِيَه (فِي حَال)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

الحوارية، وبما منح- سيبويه- من ملامح مقامية، والثابت هو أراها أن تكون كذلك لوعي منه- سيبويه- بأهمية هذا المقام في إظهار إمكانات العربية، وإذا وضح ذلك فالنص يقوم على أسس تداولية قوامها تكامل عناصر الحدث الكلامي من متكلم ومقام تخاطبي، ومشهد موصوف في حال الفعل، لذلك ((يجوز إظهار الفعل فيه وإضماره لحال حاضرة ودلالة بيّنة))⁽¹⁾ اعتماداً على علم المخاطب بوصفه مشاركاً في مجريات المقام التخاطبي، وفي قراءة تداولية لقوله (في حال) نجد يندرج مع هذه الآلية قوله (ترى رجلاً...) و(أخبرت عنه..) فكلها تفضي إلى حال وقوع الحدث الكلامي، وقوله (يريد) ينبئ عن (قصد) الرجل، والتداولية منهج يكشف عن مقاصد المتكلمين، وعند اكتمال عناصر المقام التخاطبي جاز للمتكلم أن يحذف الفعل، ويكتفي بذكر من وقع عليه الفعل (زيداً) جرياً على خرق كمية الأخبار المقدمة تخاطبياً، التي تنص عليها قاعدة الكم⁽²⁾: وهي تخصّ كمية الأخبار التي يجب أن تلتزم بها المبادرة الكلامية، وتنفّرغ إلى مقولتين:

أ. اجعل مشاركتك تُفيد القدر المطلوب من الإخبار.

(1) شرح السيرافي: 2/ 156.

(2) تعود قاعدة الكم إلى الاستلزام الحواري في المنهج التداولي، و(الاستلزام الحواري) يعد واحداً من أهم المفاهيم التي يقوم عليها التحليل التداولي، فهو ألصقها بالبحث، وأبعدها التباساً عن مجال التحليل الدلالي، ويرجع هذا المفهوم إلى المحاضرات التي ألقاها غرايس في جامعة هارفارد عام 1967م، الذي بيّن فيها التصورات الكاملة التي يقوم عليها هذا المفهوم. ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 32.

وقد تطلّع غرايس إلى ((أن يضع نحوًا قائمًا على أسس تداولية للخطاب، تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب، فهو يؤكد على أن التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذر إذا نظر فيه فقط إلى الشكل الظاهري لهذه العبارات)) مدخل إلى دراسة التداولية، مبدأ التعاون ونظرية الملازمة والتاويل: 67-68. فلا يخفى أن يكون للجملة في استعمال معين وظيفتان دلالتان اثنتان: ((وظيفة أصلية قارة في القواعد المضبوطة، ووظيفة متغيرة تبعاً لتغير ظروف الاستعمال وهي وظيفة لا يمكن أن تقتن إلا حسب الظرف الاستعمالي للمتكلم والمستمع والمقام)) الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها: 17-18.

وقد عرّف الاستلزام الحواري بأنه: ((المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة، أو ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر، جاعلاً مستمعه يتجاوز المعنى الظاهر لكلامه إلى معنى آخر)) الاستلزام الحواري في التداول اللساني: 18 هامش رقم 2.

وقيل هو ((عملية قد تطلق على كل قضية مضمرة، نستطيع استخراجها من ملفوظ ما، واستنباطها من محتواها الحرفي ونحن ننسق معلومات الوضع المتغير)) المحاوراة مقارنة تداولية: 151. وأراني مع التعريف الأخير على الرغم ما يكتنفه من غموض.

ب. لا تجعل مشاركتك تُفيد أكثر ممّا هو مطلوب⁽¹⁾.

فالأصل في بنية التركيب - بحسب تقدير سيبويه- (اضربُ زيدًا، أو أ تُضربُ زيدًا) أمرًا أو مستفهمًا بحسب سياق الحال، لكنّ المتكلم حذف جزءًا من التركيب اعتمادًا على فهم المخاطب، ووضوح الدلالة عنده، الذي يُعرف تداوليًا بمبدأ التعاون الذي ينصُّ: ((ليكن انتهاضك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرض منه))⁽²⁾.

فمقولة (في حال) لها بعدٌ تداوليُّ أفصح عن الأحداث الكلامية وغيرها التي تلبس فيها أطراف الخطاب، كما تُفصح عن الخلفية العلمية التي يضطلع بها المتكلم والسامع للمسار الذي ابتنى عليه الخطاب، وهو ما يعرف تداوليًا ب (الافتراض المسبق) الذي يعد من أبرز المفاهيم التداولية، وذي أهمية في كلّ تواصل لسانی يعتمد على معطيات، وافتراضات معترف بها بين المتخاطبين، لتحقيق النجاح في عملية التواصل⁽³⁾، ويُعرّف بأنه ((الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة))⁽⁴⁾، وهي هنا ممثلة بالعرف اللغوي الذي جاز للمتكم أن يحذف الفعل ويبقى أثره، و(زيد) معروف لدى المخاطب وإذا أخضعنا العملية لقيد النفي والإثبات لبيان الافتراض المسبق، نجد (زيدا) هو محور الحديث، فنقول:

- اضرب زيدا.

- لا تضرب زيدا.

نجد في كلا الأمرين يشكّل (زيد) محور الحدث الكلامي، ومن ثمّ فهو نقطة التواصل بين أطراف الحوار، وبغيابه - الافتراض- تنحصر لباقة الاستعمال؛ لذلك نجد السيرافي - معلقًا على كلام سيبويه هذا- يمنع الحذف إذا حدث خلل في (التواصل/علم المخاطب) أو بحسب مقولات التداولية ب(مبدأ التعاون) وحدّد ذلك في مواطن، هي:

1- ((لا يجوز أن تقول: زيدٌ، وأنت تريد: ليضرب زيد، وليضرب زيد عمرا إذا كان فاعلا))⁽⁵⁾؛ لا دليل على مقصد المتكلم، وعند غياب المقام التداولي على المتكلم أن يعوّض ذلك بالقرائن المقاليّة، أو الالتزام بالنظام الشكلي المتكامل الذي يحمل الدلالة، وفي مثال السيرافي إذا ذكر المتكلم (زيدٌ) بالرفع، فينصرف عندها ذهن المخاطب إلى مكملات التركيب بحسب مفرزات

(1) أثرنا في ترجمة هذه القواعد المزاجية بين ترجمة الدكتور طه عبد الرحمن، وترجمة الدكتور مسعود صحراوي؛ لأنها الأقرب إلى تحقيق المعنى المراد من هذه القواعد، ينظر: التداولية عند العلماء العرب: 33-34، واللسان والميزان: 238-239.

(2) اللسان والميزان: 238.

(3) ينظر: التداولية من أوستين إلى غوفمان: 141.

(4) التداولية عند علماء العرب: 31.

(5) شرح السيرافي: 1/ 156.

التأطيرُ التَّداوُلِيُّ لِقَوْلِ سَبِيَّوِيهِ (فِي حَالِ)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

الظاهر، وهو أمّا أن يكون مبتدأ أو فاعلاً مع حضور المشاركة التواصلية التي تُتيح للمخاطب بأن يقدر المحذوف، وإلا فلا.

2- ((ولا يجوز أن تجعل الفعل المضمّر لغائب في الأمر لأنك إذا فعلت ذلك فلا بدّ من أن تقدّر للمخاطب فعلاً يبلّغ به الغائب، فكأنك قلت: قل له: ليضرب زيداً، أو قل له ليضرب زيد عمراً))⁽¹⁾ لقد أشار السيرافي هنا إلى أمر مهم يتعلّق بالتخاطب؛ إذ لا يجوز أن تذكر الاسم رفعا، وتنتظر من المخاطب أن يقدر فعلاً ماضياً، لأنّ الحذف لا يكون إلا لعلم المخاطب، ولا يجوز أن تحمّل الخطاب انزياحات لخال الذهن من مقام الخطاب، وهذا جوهر التداول، لذلك رأينا سبوييه عندما يسوق أمثله ويأخذ بإيراد وجوه المعاني لها فإنّه يُعزّز ذلك التنوّع بمقام معيّن، فحضر عنده مثلاً عبارات: (إذا رأيت...، كأنّه قال، وفي حال...إلخ) ولذلك إن جاء تعبير من هذا النوع- مثال السيرافي- فلزم أن تؤمّر إمارة تدل المتلقي على القصد؛ وقد علّل السيرافي ذلك قائلاً ((ضعف هذا عندهم لإضمار فعلين لشيين مع ما يدخل فيه من اللبس، واللبس الذي يدخل فيه أنه ليس للمخاطب فعل ظاهر ولا مضمّر عليه دلالة فلا يعلم أنك أردت: قل: ليضرب زيداً، أو أردت: لا تقل له ليضرب زيداً، ونحو ذلك من الأفعال المتضادة))⁽²⁾، فعدم جواز الحذف عند السيرافي مؤداه الإخلال في مبدأ التعاون الاغرائسي، الذي بمعنيته يجوز خرق كمية الملفوظات.

ثانياً- الاستفهام:

الاستفهام معنى نحوي يُنجزُ بأحد أدوات الاستفهام المحصورة كمّا واستعمالاً، وقصد المتكلم من إنجازه الاستخبار عن أمر غير واجب في ذهنه فيسأل عنه، وقد يستعمل في مقام لا يناسبه معنى الاستخبار؛ إذ يكون المتكلم عالماً بما يستفهم عنه، فيخرج الاستفهام عن معناه الوضعي إلى إنجاز معنى آخر يتناسب ومتطلّبات السياق وقصد المتكلم، فالاستفهام معنى نحوي أو فعل كلامي مباشر⁽³⁾، أما التقرير، والتوبيخ، والإنكار، والرد، والمعاني الأخر التي يخرج إليها فهي معاني تداولية تتولد من عدم التناسب بين لفظ الاستفهام والسياق، فتتجزأ أفعالاً كلامية

(1) شرح السيرافي: 1/ 156.

(2) شرح السيرافي: 1/ 156.

(3) وهو الفعل الحامل لقوة إنجازية واحدة تواكب النطق بالجملة وتمثل قصد المتكلم. ينظر: اللسانيات الوظيفية: 25-26.

غير مباشرة⁽¹⁾ لا تُحدّد إلا بمعرفة المقام وقصد المتكلم، ومختلف الملابس المرتبطة بعلاقة المتكلم بالمخاطب⁽²⁾.

ومن المواقف التي تكشف آلية (في حال) عن مجريات الأحداث سياقيًا، ما ورد في قول سيبويه: ((وأما ما ينتصب في الاستفهام من هذا الباب فقولك: أ قِيَامًا يَا فُلَانُ وَالنَّاسُ قَعُودٌ، وَأَجْلُوسًا وَالنَّاسُ يَعُدُّونَ، لَا يَرِيدُ أَنْ يُخْبَرَ أَنَّهُ يَجْلِسُ وَلَا أَنَّهُ قَدْ جَلَسَ وَانْقَضَى جُلُوسُهُ، وَلَكِنَّهُ يُخْبِرُ أَنَّهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ فِي جُلُوسٍ وَفِي قِيَامٍ))⁽³⁾ إذ توحى البنية الشكلية بملحين تداوليين:

الأوّل- حذف الفعل اعتمادا على المقام التخاطبي الذي سهّل تقديره؛ خدمة لغرض الكلام. والآخر- الاستفهام الذي انتج فعلا كلاميًا غير مباشر.

فالاستفهام يوحى بالتوبيخ، وإنّما حُمِلَ الاستفهام على التوبيخ؛ وذلك للقرائن المقاميّة التي أودعها المتكلم في خطابه، أو لنقل لدقة الحدث الذي رسمه سيبويه، وهو أمر لا يفهم غير هذا الفهم وهو بذلك يؤطر الخطاب بإطار تداولي متين التواصل بين أطراف الحوار، ليس الغرض منه حرفيّة الدلالة الاستفهاميّة، بل لغرض التوبيخ، ومنه أيضا ((أَطْرَبًا وَأَنْتَ قِنْسَرِيٌّ، وَإِنَّمَا أَرَادَ: أَتَطْرَبُ، أَي أَنْتَ فِي حَالِ طَرَبٍ؟ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يُخْبِرَ عَمَّا مَضَى وَلَا عَمَّا يُسْتَقْبَلُ))⁽⁴⁾؛ لأنّ ((هذا الكلام يقوله الإنسان عند فعل يشاهده ممّا ينكر عليه من أجل شيء آخر، كأنه إذا قال: أ قِيَامًا وَالنَّاسُ قَعُودٌ فَقَدْ أَنْكَرَ عَلَيْهِ الْقِيَامَ مِنْ أَجْلِ قَعُودِ النَّاسِ، وَأَنْكَرَ الْجُلُوسَ مِنْ أَجْلِ فِرَارِهِمْ تَوْبِيخًا لَهُ عَلَى ذَلِكَ))⁽⁵⁾ وهذا التحليل الذي قدّمه السيرافي لإنجاز فعل الأمر غير المباشر بالاعتماد على قصد الخطاب، يقارب التحليل التداولي الذي يربط الفعل الإنجازي غير المباشر بوصفه فعلاً كلامياً ربطاً وثيقاً بمقصد المتكلم، ومن ثمّ النظر إلى الإنجاز بوصفه جانباً قصدياً لفعل كلامي ما في سياق التخاطب الكلي⁽⁶⁾.

ثالثاً- الابتداء بالنكرة:

من عادة العرب أن تبتدئ حديثها بمعرفة؛ ليكون هناك مركزيّة في التواصل بين أطراف الحوار، ونجاح العملية التواصلية، فر((الأصل في المبتدأ أن يكون معرفة وقد يكون نكرة لكن بشرط أن تفيد))⁽⁷⁾ ويعدّ المقام التخاطبي الفيصل في وضوح الإفادة لتلك النكرة إذا ما احترم

(1) - وهو الفعل الحامل لقوتين إنجازيتين توأمتين بالنطق بالجملة يُستدلّ على أحدهما من قصد المتكلم. ينظر: اللسانيات الوظيفية: 25-26.

(2) ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: 402.

(3) الكتاب: 1 / 338.

(4) الكتاب: 1 / 338.

(5) شرح السيرافي: 2 / 228.

(6) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: 201.

(7) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 1 / 216.

التأطير التداولي لقول سيبويه (في حال)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

مبدأ التعاون فيه، ولعله يندرج تحت هذا التقديم قول سيبويه: ((هذا بابٌ من النكرة يجرى مجرى ما فيه الألف واللام من المصادر والأسماء وذلك قولك: سلامٌ عليك ولبيك، وخيرٌ بين يديك، وويلٌ لك، وويحٌ لك، وويسٌ لك، وويلةٌ لك، وعولةٌ لك، وخيرٌ له، وشرٌ له، و " لعنة الله على الظالمين ". فهذه الحروف كلها مبتدأ مبنئٌ عليها ما بعدها، والمعنى فيهنَّ أنك ابتداءً شيئاً قد ثبتت عندك، وأسئتَ في حال حديثك تعمل في إثباتها وتزجيتها، وفيها ذلك المعنى))⁽¹⁾ فالمعنى الثابت الذي تفيد هذه الألفاظ، والذي شاع استعمالاً بين الناس سوَّغ الابتداء بها، إذ لا يخفى معناها عن المخاطب؛ لأنَّ المتكلم لا يبتدئُ بشيءٍ غابَ فهمه عن مخاطبه إلا لغرض يقصده كالتعمية وغيرها، وعلم المخاطب والمتكلم من مقولات التداول التي يجمعها المقام التخاطبي، وهذا الابتداء له مقاصده كإنجاز فعل كلامي غير مباشر (النهى) كما في ((حسبك فيها معنى النهي))⁽²⁾ والسرُّ في ذلك أنك لم تجعلها ((بمنزلة الحروف التي إذا ذكرته كنت في حال ذكرك إيَّها تعملُ في إثباتها وتزجيتها، كما أنهم لم يجعلوا سقياً ورعياً بمنزلة هذه الحروف، وإنما تجربها كما أجرت العرب، وتضعها في المواضع التي وُضعت فيها، ولا تُدخلنَّ فيها ما لم يُدخلوا من الحروف))⁽³⁾ فالعرف اللغوي درج على استعمال هذه الألفاظ على هذا المعنى، مما قوّى التواصل بين طرفي الحوار ((ألا أترى أنك لو قلت: طعاماً لك وشراباً لك ومالاً لك، تريد معنى سقياً، أو معنى المرفوع الذي فيه معنى الدعاء لم يجز، لأنَّه لم يُستعمل هذا الكلام كما استعمل ما قبله. فهذا يدلُّك ويبصرُك أنه ينبغي لك أن تجري هذا الحروف كما أجرت العرب وأنَّ تعني ما عتوا " بها ". فكما لم يجز أن يكون كلُّ حرف بمنزلة المنصوب الذي أنت في حال ذكرك إيَّاه تعملُ في إثباته وتزجيته، ولم يجز لك أن تجعل المنصوب بمنزلة المرفوع))⁽⁴⁾ فسيبويه يؤكد في النصوص السابقة ضرورة مراعاة تداولية تلك الصيغ والتراكيب في الاستعمال حتى يبتدأ بها؛ لأنَّها نكرة ومن مسوغات الابتداء بالنكرة أن تكون شائعة في الاستعمال معروفة بين أقطاب التواصل في الحدث الكلامي مما يضيفي شرعية الابتداء بها، وإلا فلا.

واضحة جداً الأطر التداولية في قراءة سيبويه للغة، والثابت أن تلك القراءة قد راعى فيها كثيراً قصد المتكلم وإرادته في الكلام، وقدَّم بنى شكلية كثيرة بين توجيهها التركيبي على وجهة

(1) الكتاب: 330/1.

(2) الكتاب: 330 / 1.

(3) الكتاب: 330 / 1.

(4) الكتاب: 330/1.

من دون أخرى بناء على قصد المتكلم حتى غدا في مواقف – القصد- هو الفيصل في صحة التركيب من عدمه، ومن هنا رأى البحث أن يخصص مبحثاً يدرس مقولة القصدية المرتبطة بتعبير (في حال).

التأطيرُ التَّداوُلِيُّ لِقَوْلِ سِيَبَوِيهِ (فِي حَالِ)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

المبحث الثاني: القصدية:

توجّه القصدية فلسفيًا بأنها ((الإرادة المتوجّهة نحو الفعل، وهي تلك السمة للحالات العقلية التي تتعلق بموضوعات فعلية خارج ذاتها، مع نيّة وتوجّه حاضرين مرتبطين بالفعل))⁽¹⁾ وهذا التوجه الفلسفي يقترب من المفهوم اللغوي للقصد الذي يعني النية والعزم على التوجه الى تحقيق الفعل وإيجاده⁽²⁾، وتعتمد قصدية العقل في مظهرها على قصدية اللغة الاستعملية وتعد جزءا منها، والقصدية في الاستعمال اللغوي تُترجمُ بمعنى الغرض أو الغاية التي يريد المخاطب أو المتكلم تحقيقها من الخطاب في الوظيفة التواصلية، ومن هنا عُدَّت القصدية إحدى القرائن المهمة في تحليل الخطاب اللغوي عمومًا والنحوي منه على وجه الخصوص؛ إذ تُوظَّف سياقيًا لإظهار الطاقة الإنجازية والأداء الفعلي الإبلاغي المميز للتركيب⁽³⁾.

وقد فسّر سيبويه اللغة في كثير من مواضع كتابه على قرينة القصدية، وكشف عن المعنى احتكامًا إلى قصد المتكلم وفهم المتلقي، ولنا أن نقف في هذا المبحث عند مواضع ارتكز سيبويه في بيانها على مبدأ القصدية، معبرًا بألفاظ تشاركها في المعنى مثل: يريد وتصريفاته، وغرض، لم ترد... الخ، على ما يأتي بيانه.

أولاً- ما أُجْرَى مَجْرَى لَيْسَ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِع:

درج سيبويه تقديم القاعدة على وفق رؤية تواصلية قوامها قصد المتكلم وفهم المخاطب، لضمان نجاح العملية التواصلية، وهذا المنهج يمثل الساحة التي تشغلها التداولية درسًا، ومثال ذلك في الكتاب نجده في كلام سيبويه عن الجملة المعطوفة على جملة (ما) العاملة عمل ليس استنادا الى قصد المتكلم في جواز الأمرين الأعمال والإهمال، وهو بذلك يخالف من لا يجيز إلاّ الرفع- عدم الأعمال- بقوله: ((وليس قولهم لا يكون في ما إلاّ الرفع بشيء ... ف(ما) يجوز فيها الوجهان كما يجوز في كان، إلاّ أنّك إن حملته على الأول أو ابتدأت فالمعنى أنّك تنفي شيئًا غير كائن في حال حديثك. وكان " الابتداء " في كان أَوْضَحَ، لأنّ المعنى يكونُ على ما مضى وعلى ما هو الآن. وليس يمتنع أن يراد به الأول كما أردت في كان))⁽⁴⁾.

(1) ينظر: المصطلح اللساني المترجم مدخل نظري إلى المصطلحات: 647.

(2) ينظر: لسان العرب: 3/ 353.

(3) ينظر: التداولية عند العلماء العرب: 201.

(4) الكتاب: 60/1- 61.

التأطير التداولي لِقَوْلِ سِبْيَوِيهِ (فِي حَال)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

ثانيا- ما ينتصب فيه المصدرُ:

تحدث إمامُ النحاةِ عن المواضع التي ينتصب فيها المصدر بناء على قصد المتكلم في إرادة معنى معيّن من دون سواه، وسواء كان فيه الألفُ واللام أم لم يكن فيه على إضمارِ الفعلِ المتروكِ إظهاره؛ لأنّه يصيرُ في الإخبار والاستفهام بدلاً من اللفظِ بالفعل⁽¹⁾، قال جريزٌ:

أَعْبَدًا حَلَّ فِي شُعْبَى غَرِيْبًا أَلُوْمًا لَا أبا لكَ وَاعْتَرَابًا⁽²⁾

فالشاعر اعتمد على تعاون المتلقي في تفسير البنية الشكلية وسد النقص وصولاً إلى المعنى، أما المتكلم فقدّم هذا الملفوظ ليحمل قصده، ولا ريب أنّ السلسلة الكلامية للصورة التداولية النحوية لا تنسلخ من المقام والمرجعية، التي بيّناهما في الترسمة السابقة، وبمقتضاها يكون الخطاب النحوي إنجازاً لسانياً فعلاً يكتسب وضعية تأثيرية على المتلقي⁽³⁾، لذا نجد سيبويه يقدر الحذف ب: أ تَلُوْمٌ لُوْمًا، وَأ تَعْتَرَبٌ اعْتَرَابًا، وَحَدَفَ الفعلين في هذا الباب، لأنّهم جعلوه بدلاً من اللفظ بالفعل، وهو كثيرٌ في كلام العرب. والمعنى ((أ لُوْمًا لَا أبا لكَ، وَبَخَهُ عَلَى مَا يَأْتِيهِ مِنَ اللُّوْمِ مَعَ غُرْبَتِهِ عَلَى نَحْوِ مَا تَقَدَّمَ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَتَلُوْمٌ لُوْمًا وَتَعْرَبٌ اعْتَرَابًا))⁽⁴⁾ فالاستفهام معنى نحوي أو فعل كلامي مباشر، أما التوبيخ والإنكار والرد والمعاني الأخرى التي يخرج إليها فهي معانٍ تداولية تتولد من عدم التناسب بين لفظ الاستفهام والسياق، فتتجزأ أفعالاً كلامية غير مباشرة لا تُحدّد إلا بمعرفة السياق وقصد المتكلم، ومختلف الملابس المرتبطة بعلاقة المتكلم بالمخاطب⁽⁵⁾. وهنا – بحسب توجيه سيبويه والسيرافي- غادر الاستفهام دلالاته الوضعية إلى دلالة أخرى تُوضّح قصد المتكلم وهو التوبيخ، وجرّياً مع مقولات التداولية فإنّ المتكلم هنا قد أوقع فعلاً كلامياً من ((التعبيريات Expressives: وغرضها الإنجازي التعبير عن الموقف النفسي تعبيراً يتوافر فيه شرط الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة))⁽⁶⁾

(1) ينظر: الكتاب: 335/1.

(2) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ - 1997 م: 2/ 162.

(3) ينظر: القصيدة الإنجازية في مضمون الخطاب النحوي: 223.

(4) الكتاب: 335/1.

(5) ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: 402 .

(6) ينظر: آفاق جديدة: 78.

وهو ذو قوة إنجازية عالية؛ لتحققه بالاستفهام⁽¹⁾ ((إن لم تستفهم وأخبرت))⁽²⁾ فالفيصل هو إرادة المتكلم إذا كان يقصد الدلالة الحقيقية للاستفهام والمعنى يختلف عندها، وإذا لم يرد الاستفهام فالأغراض التي يمكن قراءتها من هذا الملفوظ كثيرة ذكر منها السيرافي (التوبيخ) ولعلها تحتمل التعجب أيضا، أما الفعل الكلامي الذي نتج عن هذا التركيب فيمكن قراءة مكوناته بالآتي:

- **الفعل النطقي:** وهو يشمل الجوانب الصوتية والمعجمية والنحوية، ويمثله قول جرير (أَعْبُدًا حَلَّ في شُعْبِي غَرِيْبًا ... أَلُوْمًا لَا أَبَا لِكَ وَاغْتَرَابًا) بلحاظ جوانبه الصوتية، ودلالته المعجمية الأولية، وبنية النحوية المؤسسة على البنية الشكلية الظاهرية وما تقوم عليه من بنية عميقة (استفهام+....⁽³⁾+مفعول به+ حرف جر+ (اسم مجرور+ مضاف إليه)+ حال)، (استفهام+ مصدر منصوب+ حرف نفي+ اسم منفي+ جار ومجرور+ حرف عطف+ اسم معطوف).
- **الفعل القضوي:** الذي يشمل المتحدث عنه أو المرجع ويمثله المخاطب، والمتحدث به أو الخبر ويمثله (ألوما...اغترابا).
- **الفعل الإنجازي:** وهو ما يؤديه التلفظ من إنجاز فعل في الواقع وهو (التوبيخ).
- **الفعل التأثري:** وهو ما يتركه إنجاز الفعل من أثر في متلقيه.

ويسترسل سيوييه في الإحاطة بالمسألة ويكثر من التمثيل لها قائلا: ((وكذلك إن أخبرت ولم تستفهم، تقول: سَيْرًا سَيْرًا، عنيت نفسك أو غيرك، وذلك أنك رأيت رجلاً في حال سير أو كنت في حال سير، أو ذكر رجل يسير أو ذكرت أنت بسير، وجرى كلامٌ يحسن بناءً هذا عليه كما حسن في الاستفهام. لأتلك إنما تقول: أَطْرَبًا وَأَسِيرًا، إذا رأيت ذلك من الحال أو ظننته فيه))⁽⁴⁾.
عندما بين سيوييه إنجازية الاستفهام في إنتاج الفعل الكلامي غير المباشر طفق يوضح قوة الخير في إشغال موضع الإنشاء إنجازاً للفعل الكلامي؛ إذ يكشف النص المنصرم عن قصدية المتكلم في توجيه الشكل والمعنى، سواء أ تصدر البنية الشكلية الاستفهام، أم كان البناء على الخبر، وينبئ قول سيوييه (عنيت نفسك أو غيرك) عن قصد المتكلم بوضوح، وهذا الاشتغال الذي اضطلع به سيوييه يجرى على وفق المقولات التداولية، ومنها الفعل الكلامي

(1) جرى التنظير التداولي في تحديد القوة الإنجازية لفعل ما على طبيعة البنية الشكلية الحاملة للفعل، فقيل إن أقوى تحقق إنجازي للفعل الكلامي تكون بأفعال الأمر غير أن هذا الرأي لم يقبل عند كثير، وقيل إن فعل الأمر يستنفذ طاقة المتكلم بلحاظ سلطته حتى ينجز فعلا، ولو كانت سلطته قوية لأنجز أفعالا كلامية بتركيب أقل تأثير من الأمر كالخبر والاستفهام مثلا، فإنه يستفهم ولكنه ينجز فعلا كلاميا، بمعنى أن المتكلم لا يحتاج إلى أمر صريح حتى ينجز فعلا بل أنه قادر على إنجازه حتى في الاستفهام. ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة: 185.

(2) شرح السيرافي: 228/2.

(3) فعل محذوف بناء على ارادة المتكلم لذا قالوا إنه مستعمل اظهاره.

(4) الكتاب: 339/1.

التأطير التداولي لقول سيبويه (في حال)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

الذي يمثل مفهوماً إجرائياً فعّالاً في تقسيم الظاهرة الإنشائية وتمييزها عن الخبر، غير أنّ الفعل الكلامي لا يجيء إنشائياً خالصاً في بعض الاستعمالات اللغوية المعدولة عن الأصل؛ إذ قد يجيء بلفظ الخبر، عندها يُنشئ المتكلم فعلاً كلامياً من طريق تراكيب لغوية قد تبدو - للوهلة الأولى - أفعالاً خبرية في بنيتها السطحية؛ لكنّها - في الحقيقة - تحمل في معناها العميق فعلاً كلامياً آخر غير مباشر يقتضيه سياق حال العملية التخاطبية في بعدها التداولي، فيُعطي التركيب الخبري دلالة لا تتوافر في التركيب الإنشائي لو صُرّح به، لهذا قد يعدل المتكلم في إنجازهِ للفعل الكلامي من صيغ الإنشاء المباشرة إلى الخبر، لدلالة يقصد منها إنجاز فعل ما في العالم الخارجي، فالمعول عليه في إنشاء هذه الأفعال الكلامية غير المباشرة بلفظ الخبر، هو فاعلية السياق، وقصد المتكلم، مع قدرة المخاطب على الاستدلال وإنزال المعاني بحسب قصد المتكلم إليها⁽¹⁾، وحديث سيبويه السابق يركّز على تقدير الإعراب، ولكنّه لا يهمل تفسير المعنى في ((هذا الباب أنّه فعلٌ متّصلٌ في حال ذكرك إياه استفهمت أو أخبرت، وأنك في حال ذكرك شيئاً من هذا الباب تعملُ في تثبيته لك أو لغيرك))⁽²⁾.

فالفعل الكلامي في هذا التركيب هو إثبات السير لصاحب الفعل، سواء كان المتكلم صاحب الفعل أم غيره، وهو من الإخباريات التي تقوم على نقل الواقع الخارجي كما هو بناء على الإحاطة التامة بمجريات الحدث التخاطبي، ولا يخلت المعنى في الاستفهام أيضاً و((على هذا يجرى هذا الباب إذا كان خبراً أو استفهاماً، إذا رأيت رجلاً في حال سيرٍ أو ظننته فيه، فأثبتت ذلك له، وكذلك " أنت " في الاستفهام، إذا قلت: أنت سيراً))⁽³⁾ ولعلّ انتصاب المصدر في المثل السابقة له ما يؤيده قواعدياً؛ لأنّ المصدر المنسوب دالاً على فعله من دون حاجة ملحة للمقام في توضيحه، ويبقى اشتغال المقام في هذا النسق إثرائياً يوجّه الإنجاز التداولي، غير أنّ سيبويه يتقدم خطوة متميزة يجعل فيها الأسماء (اسم الفاعل) على قرار البنية الشكلية السابقة ويعاملها - بلحاظ النصب - معاملة المصدر المنتصب بفعله المحذوف من لفظه، وهذه الأسماء لا تشير إلى فعل محدد، فكيف نُصبت؟، لنتأمل نصّ سيبويه في ((باب ما ينتصب من الأسماء التي أخذت من الأفعال انتصاب الفعل، استفهمت أو لم تستفهم وذلك قولك: أ قائماً وقد قعدَ الناس، وأ قاعداً وقد سار الركب. وكذلك إن أردت هذا المعنى ولم تستفهم، تقول: قاعداً علم

(1) ينظر: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة: 446.

(2) الكتاب: 339/1.

(3) الكتاب: 339/1.

الله وقد سار الركب، وقائماً قد علم الله وقد قعد الناس⁽¹⁾، قدّم سيبويه في نصّه هذا نوعين من الأمثلة: نوع فيه رائحة الفعل، وهو الاستفهام في (أ قائماً وقد...، وأقاعداً وقد...) والآخر (بنية خبرية قائماً قد علم الله...) وأحسب أنّ في الأمثلة قصداً يريد سيبويه الكشف عنه، ولاسيما أنّ الاسم المنصوب هو (اسم فاعل = قائماً/قاعداً) وليس مصدراً حتى يحيل إلى فعله، وإذا أردنا الإجابة عن السؤال السابق، نقول: إنّ المسوّغ لنصب الاسم هنا هو الاعتماد على المقام التخاطبي وقصد المتكلم وإرادته؛ إذ ((لا يجوز إضمار الفعل الدالّ على الحال إلا أن تكون الحال المشاهدة تدل عليه، ولا يجوز أن يقول إنسان- مبتدئاً من غير حال تدل: قائماً يا زيد كما تقول: يجوز قياماً يا زيد لأنّ المصدر مأخوذ من لفظ الفعل فهو دال على فعل معيّن دون غيره. وإذا قال قائماً يا زيد، لم يدلّ على فعل محصور لأنّه يجوز أن يقول: اثبت قائماً، وتكلم قائماً، وضحك قائماً، وما أشبه ذلك مما لا يحصر، وإنّما جاز أن يقول: أ قائماً وقد قعد الناس، لما شوهده من القيام والتعمّل له))⁽²⁾ فالإطار التداولي الذي استوعب الحدث الكلامي شرّع لحذف العامل- الفعل- في غير المصدر⁽³⁾، و((ذلك أنّه رأى رجلاً في حال قيام أو حال قعود، فأراد أن ينبّهه، فكأنّه لفظاً بقوله: أتقوم قائماً وأتقعد قاعداً، ولكنّه حذف استغناءً بما يرى من الحال، ومثل ذلك: عائداً بالله من شرّها، كأنّه رأى شيئاً يتقى فصار عند نفسه في حال استعاذة، حتّى صار بمنزلة الذي رآه في حال قيام وقعود، لأنه يرى نفسه في تلك الحال، فقال: عائداً بالله، كأنّه قال: أعود بالله عائداً بالله، ولكنّه حذف الفعل لأنّه بدلّ من قوله: أعود بالله، فصار هذا يجرى ها هنا مجرى عياداً بالله. ومنهم من يقول: عائداً بالله من شرّ فلان))⁽⁴⁾.

نرى سيبويه يركز على مقولة (في حال) كثيراً عندما يحاكي نصّاً ذا مسحة اجتماعية أو لنقل تداوليّة؛ ذلك أنّ فكرة سياق الحال هي ((المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية في الوقت الحاضر، وهو الأساس الذي يبني عليه الشق أو الوجه الاجتماعي من وجه المعنى... وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات الأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء

(1) الكتاب: 1/ 340.

(2) شرح السيرافي: 2/ 320.

(3) ذكر السيرافي أن المبرد اعترض على توجيه سيبويه وأول اسم الفاعل بالمصدر لتطرد القاعدة في تقدير الفعل المحذوف كما هو الحال في المصادر المنصوبة، غير أنّي عندما تتبعت المسألة في المقتضب وجدتها واردة بصورة مختصرة كما ذكرها سيبويه بل أن المبرد يجمعها تحت باب واحد وهو (هَذَا بَابُ الْمَصَادِرِ الَّتِي تَشْرِكُهَا أَسْمَاءُ الْفَاعِلِينَ، وَلَا تَكُونُ وَاقِعَةً هَذَا الْمَوْقِعَ إِلَّا وَمَعَهَا دَلِيلٌ مِنْ مُشَاهَدَةٍ، فَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَى ذَلِكَ، خَبْرًا كَانَتْ أَوْ اسْتِفْهَامًا)، وقد جرى في توجيهها بحسب ما وجّه سيبويه المسألة، ينظر: المقتضب: 3/ 264.

(4) الكتاب: 1/ 340-341.

التأطير التداولي لِقَوْلِ سِيبَوِيهِ (فِي حَالِ)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

المقال⁽¹⁾) وهذا لعمرى ما يعرف في الآونة الحديثة بالمنهج التداولي الذي يراعي ما يرعى سياق الحال في نظر سيبويه ومن لفَّ لَفَّهُ.

ثالثاً: البعد التواصلي لآلية (في حال):

إنَّ موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية بين المتكلم والمخاطب التي تجمع بين النحو والتداول، ويحدد (سيموان دايك) القدرة التواصلية بأنها ((ما يمكن مستعملي اللغة الطبيعية من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللغوية، أي ما يمكنهم من التفاهم والتأثير في مدخرهم المعلوماتي والتأثير حتى في سلوكهم الفعلي عن طريق اللغة))⁽²⁾ ولاشكَّ – وبحسب العرض السابق مثلاً- أنَّ سيبويه قد أضع صنوف القول والتعبير لما تقتضيه الطبيعة العلميَّة، فلم يقتصر التواصل في الكتاب على مفهوم واحد، بل احتوى في باطنه على مفاهيم عدة اقتضاها الاتجاه الوظيفي عند سيبويه في تحليله للظواهر اللغوية في أبعادها التركيبية والدلالية والتداولية، ومن ذلك قوله: ((أتميمًا مرّةً وقيسياً أُخرى. وإنما هذا أنك رأيت رجلاً في حال تلون وتنقل، فقلت: أتميمًا مرّةً وقيسياً أُخرى، كأنك قلت: أتحوّل تميمياً مرّةً وقيسياً أُخرى. فأنت في هذه الحال تعمل في تثبيت هذا له، وهو عندك في تلك الحال في تلون وتنقل، وليس يسأله مسترشداً عن أمرٍ هو جاهلٌ به ليفهّمه إياه ويُخبره عنه، ولكنه وبّخه بذلك))⁽³⁾ فواضح مراعاة سيبويه لأقطاب المقام التخاطبي؛ إذ كان كثيراً ما يلجأ ((لتقدير حوارية تداولية من أجل تبرير أو تفسير وضع نحوي معيّن))⁽⁴⁾ وهو ضرب من الرياضة الفكرية في استحضار الموقف لتعليل الظاهرة النحوية تواصلياً، ولما كانت الغاية من التواصل هذا إقامة الحجة ودفع الشبهة والفاقد من القول والرأي بطرق الاستدلال الصحيح⁽⁵⁾، فقد كان سيبويه مخطّطاً ومنظّماً حينما أمسك بزمام أمور التواصل بين المتكلم المستنكر لصنع الرجل، والمتلّون بين قيس وتميم، معتمداً- سيبويه- على الطاقة التواصلية لما لها من سيطرة على نواميس الحدث التخاطبي، فكان مبدأ التعاون بمنزلة المعيار الضابط؛ إذ يستحيل استمرار التواصل في حالة الاختلاف في المفهوم الذهني لمفردات مهمة وجوهري، وقد قدّم سيبويه فكرته من طريق خلق المتلقي (الأنموذج المثالي) وبيان أثره في التوصل إلى المعنى باستعداده

(1) اللغة العربية معناها ومناها: 337.

(2) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: 16.

(3) الكتاب: 343/1.

(4) الأسس الاستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه: 270.

(5) في أصول الحوار: 7.

الفطري وتكوينه الثقافي اللذين يوهلانه لمعرفة دقائق التشكيل واستنباطه دلالات الأساليب، وهو ما يشي بالقول: إنّه قد تعامل مع متلقٍ واعٍ يفقه الأساليب، ولاسيما أنّ أبحاثه امتازت بعناية فائقة في بعدها الاستعمالي، وهو أمر ينضوي تحت التأطير التداولي لها؛ لأنّ أشراف الفعل الكلامي منجزة في هذا النص، ونوعه من الإيقاعات، وانجازه التوبيخ، وفعله النطقي قائم على فكرة حذف ((الاسماء التي لم تؤخذ من الفعل و لم تجر مجرى الأسماء التي أخذت من الفعل))⁽¹⁾، ولنا أن نسجل على عرض سيبويه السابق ملاحظ، نجملها بالآتي:

- 1- تدرج سيبويه في تقديم الألفاظ المنصوبة بعد الاستفهام والخبر، مع ربط التركيب ببعده التواصلية ليستحضر مجريات الحدث الكلامي على وفق تأطير تداولي واضح.
- 2- قدم أولاً من الألفاظ المنصوبة المحذوف فعلها- عاملها- المصدر نحو (أ لوما لا أبا لك، وبخه على ما يأتيه من اللوم مع غريبته على نحو ما تقدّم)؛ ولعل تقديمه أولاً بوصفه الإجراء التركيبي المتفق عليه بين النحويين من نصب المصدر بفعل من لفظه سواء أكان محذوفاً أم مذكوراً، وهنا سيبويه وإن كان مراعيًا المقام التخاطبي في الحذف إلا أنّ النظام اللغوي يمدّه بتفسير قد يساوي تدخل مقام الحال في توضيح المسألة، ولذلك قدمه.
- 3- يتقدّم سيبويه خطوة يوغل فيها في المقام التخاطبي ومجرياته، أكثر من اعتماده على النظام اللغوي بحسب ما فعل في الفقرة السابقة، ففي هذه المرحلة نرى سيبويه ابتعد عن التفسير اللغوي للبنية الشكلية النابع من النظام اللغوي، وأوغل في التفسير المقامي لفك بنية التركيب في قوله (أ قائماً وقد قعدَ الناسُ، وأ قاعداً وقد سار الركبُ) إذ ذكر من الألفاظ اسم الفاعل، وهو يختلف بلحاظ صيغته عن المصدر في الوظيفة؛ إذ لا يخصص فعلاً عاملاً به مثل المصدر، والخيارات متاحة أمام المتلقي لسد الخرق في البنية التركيبية المطروحة هنا، لكنّ سيبويه أسّس لهذا النمط من التركيب أساساً تداولياً معتمداً على المقام التخاطبي بكلّ أقطابه؛ ليحمل المتلقي على التقدير الصحيح اعتماداً على مقولة (في حال) التي أطرت الحدث الكلامي تأطيراً تداولياً.

- 4- أمّا في (أتميمياً مرةً وقيسيّاً أخرى) فقد كان سيبويه أكثر إيغالاً في البعد التداولي؛ لأنّها أسماء صريحة، فإذا كان في اسم الفاعل ملمح الفعل، أو إمكان تأويله بالمصدر عند بعض النحاة⁽²⁾، فإنّ هذا الإجراء ممّا لا يصح هنا، ولذا فليس له تفسير سوى مجريات المقام التخاطبي المبنية على قصد المتكلم وفهم المخاطب

(1) الكتاب: 343/1.

(2) شرح السيرافي: 2/ 229، إذ ذكر أن بعض النحاة يتأولون أسم الفاعل (قائم) ب (القيام)، و(قاعد) ب(قعودا).

التأطير التداولي لِقَوْلِ سَيَّبِيَّوِيَه (فِي حَال)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

الخاتمة:

- نصل في ختام هذه السياحة العلميّة في روضة لغوية موفقة، لنتشف بعض ما دبّجه هذا العالم الجليل من علوم العربية، في توظيف مقولة (في حال) لفتق المعنى وتحركه تداولياً، ولنا أن نجمل أهم نكات البحث بالآتي:
- 1- كان لمقولة (في حال) ارتباط واضح وصريح بمقولات المنهج التداولي، يعضدها طائفة من المصطلحات المقاربة لها مثل (الآن، الساعة، إذا رأيت ومشتقاته، ترى، تشاهد ومشتقاته...)
 - 2- اهتم سيبويه كثيراً في إجرائه بربط القاعدة النحوية بسياق الاستعمال، وعمد الى خلق أحداث تخاطبية لتحقيق مقام تواصل يخدم مبتغاه.
 - 3- من استثمار مقولة (في حال) تداولياً ظهرت أفعال كلامية، وافتراضات مسبقة؛ إذ ارتكزت- في حال- على مبدأ التعاون أو لعلها تقابله عربياً.
 - 4- تمثل التأطير التداولي لمقولة (في حال) واضحاً في (المقامية) و(القصدية)، والتواصلية) إذ رأينا كيف يستغني المتكلم عن ذكر الفعل بناءً على معرفة المخاطب وإمامه بحال الخطاب ومقامه، ورأينا التحولات الأسلوبية من الإنشاء في الاستفهام إلى الخبر خارجاً إلى إنجاز أفعال كلامية يقصدها المتكلم.
 - 5- الاعتماد على مقولة (في حال) سوّغ الابتداء بالنكرة؛ لعلم المخاطب فحواها من المقام التخاطبي.
 - 6- إن غياب مفهوم (في حال) يعني غياب التأطير التداولي لمجريات الحدث الكلامي، ولذلك نرى سيبويه والسيرافي يمنعون اشتغال أي عارض من عوارض التركيب كالحذف مثلاً إذا كان المخاطب خالي الذهن من مجرياتها.
 - 7- رأينا سيبويه يسير على وفق تدرج دقيق في تفسير الظاهرة اللغوية؛ إذ يبدأ بعرضها بنيويًا ثم يجمع بين النظام والمقام ثم يعتمد اعتماداً كلياً على المقام، على ما عرضنا تفاصيله في متن البحث.
 - 8- ينبئ هذا الانتقال في بيان أنواع التراكيب عن خطة واضحة ومنهجية دقيقة سار عليها سيبويه في دراسة اللغة في حيز الاستعمال. و الحمد لله ربّ العالمين.

روافد البحث:

- القرآن الكريم.
- استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية ، عبد الهادي بن ظافر الشهري ، ط1 ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت - لبنان ، 2004م .
- الأسس الإستمولوجية والتداولية للنظر النحوي في كتاب سيويوه ، د. إدريس مقبول ، ط1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن ، 2006م .
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر ، د. محمود أحمد نحلة ، ط1 ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 1432هـ/2011م .
- الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية ، د. إدريس مقبول ، ط1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن ، 1432هـ/2011م .
- الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، د. خالد ميلاد ، ط1 ، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس ، 1421هـ/2001م .
- التداوليات علم استعمال اللغة، (مجموعة باحثين)، إعداد وتقديم : د. حافظ إسماعيل علوي ، ط1 ، عالم الكتب الحديث ، إربد - الأردن ، 1432هـ/2011م .
- التداولية اليوم علم جديد في التواصل ، أن روبول وجاك موشلار ، ترجمة : د. سيف الدين دغفوس، و د. محمد الشيباني ، ط1 ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت - لبنان ، 2003م .
- التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي ، د. مسعود صحراوي ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت - لبنان ، 2005م .
- التداولية من أوستين الى غوفمان ، فيليب بلانشية ، ترجمة : د. صابر الحباشة ، ط1 ، دار الحوار ، سورية - اللاذقية ، 2007م .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (المتوفى: 1093هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 1418 هـ - 1997 م
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : 769هـ)، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة ، سعيد جودة السحار وشركاه، ط20، 1400 هـ - 1980 م.
- شرح كتاب سيويوه، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (ت 368هـ) ، تحقيق : أحمد حسن مهدي ، وعلي سيد علي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، 1429هـ/2008م .
- علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر، ط5 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1998م .
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، د. طه عبد الرحمن ، ط4 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، 2010 م .

التأطير التداولي لِقَوْلِ سِيَبَوِيهِ (فِي حَال)

م. د عماد طالب موسى جاسم الخزاعي

-
- القصديّة الانجازية في مضمون الخطاب النحوي في كتاب سيَبَوِيهِ، د. هيثم محمد مصطفى، قسم الفلسفة، كلية الآداب - جامعة الموصل، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد 11، العدد3، 2012/1/5م.
 - الكتاب، سيَبَوِيهِ ، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت180هـ)، تحقيق : د. عبد السلام محمد هارون، ط3، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1408هـ/1988م .
 - لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ)، دار صادر - بيروت، ط3 - 1414 هـ.
 - اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، د. طه عبد الرحمن ، ط2، الدار البيضاء ، المغرب ، 2006م .
 - اللسانيات الوظيفية مدخل نظري ، د. أحمد المتوكل ، ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت - لبنان ، 2010م .
 - اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، ط3 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1418هـ/1998م .
 - المصطلح اللساني المترجم مدخل نظري إلى المصطلحات، أ. يوسف مقران، (د.ط) ، دار رسلان ، سورية - دمشق - جرمانة ، 2009م .
 - مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية قراءة في ((شروح التلخيص)) للخطيب القزويني ، د. صابر الحباشنة ، ط1 ، دار صفحات ، سورية - دمشق ، 2011م .
 - المقام في الشعر الجاهلي تناول تداولي لمعلقتي عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة ، فريدة موساوي ، رسالة ماجستير ، إشراف : د. محمد يحياتين ، جامعة الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، 2005م.
 - المحاورّة مقاربة تداولية، د. حسن بدوح، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع - الأردن، ط1، 2012م.
 - الاستلزام الحوارية في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، العياشي ادواري، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، ط1، 2011م.
 - التداولية عند العلماء العرب - دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، د. مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005م.